مدينة أكسوم اليمنيــة بالحبشـة
- دراسة حضارية –

أ.ة/ نادية ماجي*

الملخص:

أكسوم هي إحدى المستوطنات اليمنية القديمة بالحبشة عرفت ذروة مجدها في الفترة الممتدة ما بين القرنين الأول والرابع الميلاديين، استطاعت أثارها أن تبرهن عن مدى انتشار الحضارة اليمنية خارج أرض شبه الجزيرة العربية، ودورها في البناء الحضاري في شرق إفريقيا عامة ومنطقة الحبشة (إثيوبيا)خاصة.

وسنتناول في هذا البحث بعض الجوانب من الحضارة الأكسومية والمتمثلة في (الحياة الاجتماعية– الاقتصادية–العمران)،بالاعتماد على بعض النصوص الكلاسيكية التي اهتمت بهذا الموضوع، كما تشكل النقوش والآثار مصدرا مهما في هذه الدراسة، ولهذا فالهدف من هذا الموضوع هو إبراز مدى عمق العلاقات العربية الأفريقية، وتحفيز النقاش والبحث في تاريخ شرق أفريقيا القديم.

Abstract:

Axoum is the one of the ancient Yemeni Settlements in Ethiopia, he knew the height of it's glory in the period between the first and fourth centuries ad, and its effects is considered as a live model who was able to prove the extent of the Yemini civilization outside the Arabian peninsula, then this Settlements has made the scientific area Yemen recognizes the role of mini states in the cultural building for east Africa generally and Ethiopia specially.

We will discuss through this research some aspects of the axumite civilization which are (social – economic – urban), according to the some classic texts which concerned by the subject, then inscriptions and relics are considered as the important source in this study .So the goal of this subject is to show the depth Arab- African relationship, and to stimulated and research in the Ancient History of East Africa.

-* - طالبة دكتوراه بقسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة وهران 1، الجزائر.

مقدمة:

لا نستطيع التحدث عن التاريخ الأكسومي بكل سهولة، بطبيعة الحال هذا راجع إلى طبيعة المصادر الأثرية والأدبية، حيث تتميز الأولى بالغموض وعدم الدقة في المعلومات وفي الغالب ما تكون إلا عبارة عن مقتطفات لنقوش مبهمة يصعب على علماء الآثار تفسيرها وتنظيمها في سلم زمني له علاقة بتاريخ المنطقة، أما بالنسبة للنصوص الأدبية (الكلاسيكية)فهي أيضا شحيحة ولم تتطرق بكثرة لهذا الجانب من العالم القديم، فبالرغم من تعدد العمليات التنقيبية بإثيوبيا[1]خاصة والشرق الإفريقي عامة ابتدءا من القرن التاسع عشر إلا أن المعلومات عن أكسوم[2] تبقى غير كافية وبالتالي يصعب على الباحث أن يجمع في دراسته بين كل ميادين الحياة لهذه المستوطنة .

ورغم قدم هذه المستوطنة وعمق علاقتها باليمن[3]، إلا أن الحديث عن أكسوم بدأ متأخرا نوعا ما، ويعود أول ذكر لها إلى صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري[4]، ولكن للأسف حتى المصدر في حد ذاته لا نعرفه بدقة تامة نظرا لعدم وضوح تاريخ تدوينه الذي يتراوح حسب تقدير المؤرخين ما بين القرنين الأول والثالث الميلاديين، هذا ما يجعلنا نتردد في تسبيق وتأخير بين المصدرين كتاب الطواف وجغرافية بطليموس[5]، إلى أن جاءت البعثات الأثرية ونفضت الغبار على أجزاء من تاريخ أكسوم، وبفضل جهود هؤلاء أصبحنا نفهم أكثر التواجد العربي بالمنطقة وعلاقته بالبناء الحضاري لها .

نظرا لطبيعة آثار أكسوم التي تحدثنا عنها سابقا من خلال التقديم، هل هذه الميزة أثرت على كتابة التاريخ الأكسومي ؟وإلى أي مدى يمكننا الاعتماد عليها لإعطاء صورة للحضارة الأكسومية ؟وما هي أبرز المظاهر الحضارية الأكسومية التي تعكس لنا التأثير العربي على هذا الجزء من العالم القديم ؟.

1- مصادر دراسة تاريخ أكسوم:

من بين المظاهر الحديثة التي تبين مدى تشبث المجتمع الإثيوبي بأصوله العربية[6] إعطاء أهمية لقصة ملكة سبأ "بلقيس" وعلاقتها بالملك سيدنا سليمان الحكيم[7] وجعلوا من ابنهما "منليك الأول" مؤسس السلالة السليمانية بالحبشة[8] . رغم المكانة التي تحتلها هذه القصة ودورها في إثراء بعض الجوانب التي كانت غامضة من تاريخ العالم القديم، إلا أن الاتجاه العلمي يرفض الاعتماد عليها لبناء حقيقة تاريخية لها علاقة بتاريخ أكسوم، وهذا راجع لأسباب:

-أولا: الجانب الأسطوري الذي تتميز به هذه الرواية التي أصبحت بسبب إضافاتهم مجرد فلكلور شعبي تتوارثه الأجيال من فترة زمنية لأخرى.

- ثانيا: حسب الآثار والأخبار المتداولة في سجلات العالم القديم، فإن بلقيس كانت ملكة سبأ في اليمن وليست ملكة أكسوم المعروفة لديهم ب "ماكدة" .

ولكن ربما عمق العلاقات الحضارية بين منطقة اليمن والشرق الإفريقي هي التي جعلت المجتمع الإثيوبي ينظر إلى الزاوية الجنوبية الغربية للجزيرة العربية على أساس أنها جزء لا يتجزأ من أرضه وكل المنطقة عبارة عن إقليم جغرافي واحد، حتى الدراسات العلمية بينت ذلك من خلال الأبحاث التي ركزت على ساحلي البحر الأحمر(الشرقي والغربي) وتوصلت إلى حقيقة انتماء المنطقتين لكتلة جيولوجية واحدة[9]، والعلاقة بين الطرفين حتمية لا مفر منها حيث اليمنيون قاموا بهجرات منذ الآلاف السنين إلى الشرق الأفريقي بعد أن عبروا البحر الأحمر وكان الهدف الرئيسي هو التجارة، وهم بذلك تركوا بصمات الثقافة العربية الجنوبية من خلال تأسيسهم لمستوطنات أبرزها "أكسوم" .

أ-المصادر الأثرية:

تتلخص المصادر المباشرة في الآثار ونقوش ملوك أكسوم المدونة بثلاثة كتابات (السبأية - الجعزية – الإغريقية) وهي التي توصل إليها علماء الآثار ابتداء من القرن التاسع عشر وتتمثل فيما يلي .

- النصب التذكاري "لميناء عدولي" المكتوب باللغة الإغريقية على كرسي العرش الملكي من المرمر الأبيض، أرخ له المختصون بالقرن الثاني أو الثالث م، فقد استخدمه أحد ملوك أكسوم شاهدا على أعماله ونقل النقش من طرف البحار" كوسماس cosmas" في كتابه الطبوغرافية المسيحية ولكن النقش كان غير واضح وبالتالي لم يعرف بعد اسم الملك صاحب النقش[10] .

- نقوش الملك "عزانا Ezana"وهي من أهم النقوش الإثيوبية التي تمحورت خاصة حول المناطق التي استولت عليها أكسوم في القرن الرابع م [11]وبفضلها تعرفنا على تاريخ دخول الديانة المسيحية إلى الحبشة [12].

- نقوش الملك" كلبCaleb" وواحد من أبنائه المعروف "وعزب Waazeba"

- بالإضافة إلى الآثار التي توصلت إليها، البعثة الألمانية بأكسوم سنة 1906وأخرى عثر عليها المعهد الإثيوبي للآثار 1952، وبفضل هذه الجهود، ظهرت مجموعة من المواقع الأثرية التي كان لها الحظ في الدراسة مثل: أكسوم وبعض المناطق المجاورة لها مثل: ملازو – حاولتي Haoulti– ياحا Yeha– مترا Matara[13].

ب- المصادر الأدبية(النصوص الكلاسيكية)

تتمثل المصادر الأدبية التي أشارت إلى مملكة أكسوم في:

- كتاب" الطواف حول البحر الاريتري" صاحبه مجهول، أرخ هذا المصدر بعد إجماع المؤرخين بالقرن الأول م .وهو مصدر جغرافي إغريقي أين وصف فيه صاحبه ميناء "عدولي" الذي يبعد عن العاصمة الأكسومية بسفر ثمانية أيام، وقال بأنه بمثابة مركز تجاري، كما تحدث نفس المصدر عن ملك أكسومي الذي يعرف باسم "زيسكاليس Zescalese"[14].

- ومن جهة أخرى اعتبر بلينPline 75م ميناء "عدولي" من أبرز المحطات التجارية في البحر الأحمر ووصف بعض القبائل الإثيوبية منها قبيلة "أصاشاي Asachae"التي كانت تعتمد على الصيد وأكد وجود هذا الموقع لاحقا الجغرافي بطليموس Ptolémée [15].

2- مراحل تاريخ الحبشة القديم وعلاقته بالتواجد اليمني

تبين من خلال الآثار التي توصلت إليها البعثة الألمانية في بدايات القرن العشرين بهضبة "تجراى" شمال أكسوم أن التواجد اليمني بالمنطقة قد مر بمراحل تاريخية مختلفة من حيث المظاهر الحضارية، والتي تتلخص فيما يلي:

أ– المرحلة السبأية:

وهي المرحلة السابقة لفترة مملكة أكسوم وتشمل الفترة منذ أن وصل العرب الجنوبيين إلى الحبشة حتى القرن الأول الميلادي، وتعرف هذه المرحلة لدى الباحثين بمرحلة "ياحا" وهو معبد يمثل أقدم الآثار القائمة التي توصل إليها حتى الآن، بالقرب من هذا المعلم الأثري انتشرت بقايا لمنشآت عمرانية ذات طابع يمني، وكل هذا إن دل إنما يدل على استقرار جماعات عربية يمنية بالمنطقة التي جلبت معها تقنيات البناء وتقنيات الزراعة التي كانت أساس اقتصاد ياحا، والدليل على ذلك هو الحضور المكثف لبقايا (المناجل) بالمعبد وبالأراضي المجاورة له[16] .والإشكال الذي وقع فيه علماء الآثار هو عدم ذكر اسم "أكسوم" في الآثار التي عثر عليها بمنطقة "ياحا" التي كانت على ما يبدو المركز الحضاري والديني الرئيسي للهضبة الحبشية، والتي أرختها الأثرية "ج – بيران Pirenne" ما بين القرنين الخامس والرابع ق م[17] ومن خلال الآثار يظهر ذلك التأثير اليمني على المنطقة ومدى ارتباط الحبشة سياسيا بالقوى السياسية في جنوب شبه الجزيرة العربية .

ب- مرحلة أكسوم ما قبل المسيحية من القرن الأول م إلى منتصف القرن الرابع م .

من منتصف القرن الأول م إلى منتصف القرن الرابع الميلادي، عرفت أكسوم في هذه المرحلة ازدهار اقتصادي وتوسعات على حساب الأراضي المجاورة لها كالنوبة وهضبة تجرى ...إلخ ولقد سبق الإشارة إلى أن اسم أكسوم لم يرد ذكره في أثار منطقة ياحا، إلا أن أقدم ذكر لها جاء في هذه المرحلة باللغة الإغريقية ومنها نقش (D.A.E /2)[18] ويرد في عدة نقوش عربية

جنوبية وبعدة صيغ (أ د ور /أ ك س وم) كما في النقش الموسوم (JA547) والتي يترجمها الباحثون بالمستوطنات الأكسومية [19].ومن خلال هذه النقوش يظهر لنا أن مملكة أكسوم عرفت حوالي عشرين ملكا أغلبيتهم دلت عليهم المسكوكات. ولا نجد مصادر أخرى تتحدث عنهم ويعتبر الملك عزانا الوحيد الذي استطاع أن يترك لنا شذرات من التاريخ الأكسومي وذلك من خلال نقوشه المشهورة التي لا يستطيع أي باحث الاستغناء عنها في دراساته.

ج– المرحلة الاكسومية المسيحية:

من منتصف القرن الرابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي ازدوجت هذه الفترة بين الازدهار والتدهور والنهاية التي حلت بأكسوم في حدود القرن العاشر بسبب المشاكل الداخلية والخارجية التي عرفتها في هذه المرحلة، والتي انتهت بعزلتها عن العالم الخارجي [20].وعلى ضوء هذه الدراسات توصل المختصون إلى إعطاء معنى للتاريخ الحبشي الذي كان يغلب عليه قبل ذلك الطابع الأسطوري الذي يتمحور في زيارة ملكة سبأ للملك سليمان الحكيم، كما توصلت البعثة إلى أن بداية التاريخ القديم للحبشة مرتبط ارتباطا وثيقا بالتواجد اليمني.

د- أكسوم من مستوطنة إلى إمبراطورية

تقع أكسوم على مرتفع يبلغ 600 قدم فوق سطح البحر في منطقة محصنة طبيعيا، على مساحة تبلغ 300 كلم طولا على 160 كلم عرضا، وتنحصر فلكيا بين دائرتي عرض 13و 17 شمالا وخطي طول 40 و38 شرقا، وتمتد شمالا من منطقة كيرون Keron حتى لومبا Lamba جنوبا ومن عدولي على الساحل إلى تكازي Takkzéغربا[21].وعلى ما يبدو أن مستوطنة أكسوم قد برزت إلى الوجود في الفترة التي ازدهرت فيها الدولة الحميرية بالعربية الجنوبية وذلك بتشجيعها للحركة الاستيطانية إلى الحبشة واسترجاع العلاقات مع المستوطنات السبئية القديمة التي تخلت عن الوطن الأم بسبب الفوضى التي عاشتها في أواخر أيامها .

وإن ظهرت مستوطنة أكسوم بتشجيع الدولة الحميرية فإنما تطورها إلى إمبراطورية واسعة كان له علاقة بالظروف التي كانت تعيشها منطقة اليمن عامة والدولة الحميرية خاصة، وبالتالي لم يكن تفوق أكسوم على أهالي منطقة الحبشة فقط بل كان أيضا تفوقا على الوطن الأم الذي كان منبعها الأصلي.برزت أكسوم إلى الوجود – وشجعها فيما يبدو – انشغال اليمنيين بالصراع الداخلي واستغلال الأكسوميين لهذه الفرصة والتطلع إلى الشاطئ العربي المقابل واحتلال أجزاء من عسير وساحل الحجاز، المنطقة التي أطلق عليها بطليموس اسم "الكانيدو كولبتاي" وتم ذلك عند نهاية القرن الأول م، وسرعان ما أصبح الأحباش طرفا في الصراع اليمني نفسه محالفوا الهمذنيين ضد حمير سنة 308.م وحاولوا احتلال ظفار لحسابهم 629م22.حقيقة لا نعرف إن كان احتلال الملك عزانا لليمن أمر صحيح أم أنه كان مجرد ادعاء فقط، لأنه من الصعوبة الجزم بصحة هذا القول ذلك أن جنوب شبه الجزيرة العربية كان تحت السيادة الحميرية التي كانت تسيطر على الموانئ اليمنية، أما سيطرة أكسوم على المناطق الإفريقية فلا شك في ذلك .

لقد عرفت أكسوم أيضا حملات عسكرية على الأراضي المجاورة لها خاصة على هضبة "تجراى" وبلاد النوبة، بالإضافة إلى سيطرتها على القبائل المستقرة في الغرب من أراضيها، ومن أبرز الأحداث التي ميزت المرحلة الأكسومية هي دخول الديانة المسيحية للحبشة في عهد الملك عزانا في القرن الرابع ميلادي. حيث زاوج في نقوشه بين الرموز الوثنية والإشارة إلى "رب السماء الذي يهيمن على كل كائن في السماء والأرض"، ومهما يكن من أمر فإن المسيحية أخذت في الانتشار في الحبشة حتى أصبحت الديانة المسيطرة على البلاد كما قويت العلاقات بين أباطرة الروم وملوك أكسوم23. وتنقطع الأخبار عن العلاقات اليمنية الحبشية في الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس ميلاديين لنتفاجأ بحروب جديدة في مطلع القرن السادس ميلادي أين تتخذ صبغة دينية تتمثل في الصراع بين اليهودية ووالمسيحية، ويبدو أن تلك الحروب التي شنها "كلب Caleb" ملك أكسوم بدعم من جستنيان الأول

إمبراطور بيزنطة، على اليمن تعتبر مرحلة من مراحل الصراع بين فارس وبيزنطة، وفي حدود عام 572 ميلادي وينتهي الاحتلال الحبشي، وانغلقت دولة أكسوم على نفسها ولم تلبث أن زادت عزلتها بعد انتشار الإسلام فتقوقعت داخل جبالها الحصينة وازداد الأكسوميين بذلك بعدا عن اليمنيين.[24]

3-الحياة الإجتماعية والثقافية

تأثرت الحبشة بعدة حضارات أجنبية دخلت إلى المنطقة بفضل موقعها الاستراتيجي الذي كان يشكل همزة وصل بين عالم البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي وشبه الجزيرة العربية، وانطلاقا من نتائج الدراسات الأثرية يظهر لنا بأن مدينة أكسوم عرفت فسيفساء من الثقافات المتمثلة في العربية–الإغريقية والرومانية من دون أن ننسى الثقافة المحلية الأصلية، وسوف نوضح كل ذلك لما نتطرق إلى الحياة الاجتماعية التي تستطيع أن تعكس لنا تلك المظاهر.

أ- التركيبة السكانية

المجتمع الحبشي كغيره من المجتمعات الأخرى يتكون من عناصر جنسية مختلفة وفدت إلى الشرق الإفريقي في أزمنة بعيدة أو قريبة من تأسيس مملكة أكسوم، امتزجوا بالعنصر الأصلي الكوش بحيث أثروا فيه وتأثروا به، ولعل العلاقة بين سكان شبه الجزيرة العربية وإفريقيا– حسب دراسات حديثة– ترجع إلى التحركات البشرية الأولى التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. وأقدم أثر لهذه العلاقة يرجع إلى الألف الثامن ق م[25]، وكان للعامل التجاري الدور الكبير في تنوع التركيبة السكانية لليمن، لان المنطقة عرفت هجرات سكانية سواء من الشرق أي(شبه الجزيرة العربية، الهند، الصين)أو من الشمال (مصر، الإغريقي، الرومان) وكان لكل هذه الأقوام دور في بناء الثقافة الحبشية .ويظهر ذلك خاصة في النقوش الملكية التي كانت تدون بعدة كتابات سبئية – إغريقية – جعزية، وفي الديانة التي كانت تجمع في بعض الأحيان بين الآلهة العربية والمصرية والإغريقية .

ب-اللغة والكتابة الاكسومية:

من بين المظاهر الحضارية التي تمثل مرحلة انتقال التاريخ الحبشي من المرحلة السبئية إلى المرحلة الأكسومية ما قبل المسيحية هو ولادة وسيلة تدوين جديدة خاصة بالمملكة الأكسومية ابتداء من القرن الثاني الميلادي حلت محل الكتابة القديمة والمتمثلة في"الجعزية" ويدل هذا الابتكار الجديد على التطورات التي عرفتها أكسوم في هذه المرحلة، كما يدل أيضا على استقلالها عن أية تبعية كانت.فأصبحت بذلك قوة محلية تجمع بين مختلف مجالات الحياة العامة، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.[26] وتعتبر مجموعة النقوش الملكية للملك "عزانا"، من أبرز المصادر التي ساعدت العلماء على متابعة دراسة التطورات التي طرأت على الكتابة الإثيوبية القديمة، كما أن ظهور كتابة جديدة لا يعني بالضرورة زوال الكتابة القديمة، وهذا ما نلاحظه خاصة في نقوش الملك "عزانا".

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن وجود فترات اكتفى الملوك بالاعتماد على الكتابة العربية الجنوبية فقط مثل نقيشة الملك "كلب" وهذا من الأمور التي حيرت جمهرة العلماء، وهذه الميزة كانت عاملا مساعدا أثناء دراسة الكتابة الإثيوبية بمقارنتها مع العربية الجنوبية[27]، فاللغة والكتابة التي نتحدث عنها أي الأكسومية ما هي إلا فرع من فروع اللغة السامية الأم التي انحدرت منها كل اللغات السامية الأخرى في الشرق الأدنى القديم، وهي التي عرفت "بالجعزية" التي تنتمي إلى عائلة اللغات السامية الجنوبية بما فيها السبئية والحميرية، واعتمدت مملكة أكسوم على اللغة الجعزية في تدوين المعاملات العامة والأمور التجارية والأدبية.كما تم الكشف عن أثار بغاية الأهمية وتتمثل في بعض النقوش "الجعزية" بمغارة بجزيرة سقطرة وإلى جانبها نقوش أخرى بكتابة هندية وكتابة عربية جنوبية بالإضافة إلى رسم لسفينة، ويبدو أن حضور هذه النقوش مجتمعة تمثل همزة وصل بين ثلاثة شعوب تجارية في العالم القديم ودليل على طريقة التواصل بين الأطراف الثلاثة (العربي الجنوبي –الأكسومي – الهندي)[28].

أما بالنسبة لطبيعة اللغة الجعزية فنجدها اعتمدت على اقتباس 24حرفا من الحروف السبئية، وأضافوا لها ستة حروف جديدة تتماشى مع الأصوات الحبشية . ولم تعتمد النصوص الجعزية القديمة على الشكل، كما كانت تكتب من اليسار إلى اليمين، وابتداء من عصر الملك "عزانا" أخذت هذه الكتابة تعتمد على إشارات الشكل، وهي عبارة عن دوائر صغيرة تعلق على الحرف الأصلي في الجوانب أو بإطالة أحد أضلعه فبالنسبة للضمائر تذكر اسم الموصول المذكر (ذ) في اللغتين، وتذكر الضمائر الشخصية في الجعزية (ي إ ت، وإ ت)بأشكال العربية الجنوبية (هيأ، هوأ)وهذه ما هي إلا بعض الأمثلة عن أوجه الشبه والاختلاف بين اللغة العربية الجنوبية واللغة الجعزية[29].

وما يجدر الإشارة إليه هو أن اللغة الجعزية شهدت عدة تطورات منذ ظهورها، وتقريبا كل نقيشة يعثر عليها تختلف عن التي سبقتها، كما أن هذه التطورات لم تعرفها كل الحروف وإنما كل حرف له مساره التاريخي وربما هذا راجع لوجود لهجات أخرى بالمنطقة كالكوشية والإغريقية، فمثلا لو نأخذ أسماء النباتات والحيوانات كلها ذات أصل كوشي . أما بالنسبة للكلمات المتعلقة بمجال البناء والزراعة فهي ذات أصل عربي جنوبي، وبالتالي دخول أصوات جديدة تتطلب اللغة لتعديلات متواصلة وهذا ما جعل هذه اللغة معقدة نوعا ما[30].لم تعش اللغة الأكسومية طويلا وربما تغلب اللهجات الكوشية عليها كان سببا في ذلك فقد اضمحلت مع نهاية دولة أكسوم التي كانت مصدر ظهورها، وبعد ذلك انحصر استعمالها في كتابة الأدب والطقوس الدينية، وبقيت بعض الأقليات تتحدث بهذه اللغة خاصة في شمال أكسوم بهضبة تجراي ويرجع الفضل في أبقائها حتى الآن إلى الكنيسة .

:ج- الديانة الأكسومية

يعتبر معبد "ياحا" الوثني الواقع على بعد 30كلم من أكسوم و130كلم عن ميناء عدولي أكبر رمز من رموز العلاقة الدينية بين أكسوم واليمن، وذلك

من خلال هندسته المعمارية التي تنطبق بشكل كبير مع الهندسة المعمارية للمعابد اليمنية، بالإضافة إلى مجموعة النقوش التي زينت به جدرانه والمتمثلة في الخط السبئي والتي تحمل معاني طقوس دينية ذات أصل عربي جنوبي[31] ويؤكد الباحثون بأن اله "المقه"هو الإله الرئيسي في مجمع الألهة الإفريقية، وانتشرت عدة معابد تابعة له خاصة في حاولتي – ميلازو– Hawalti-Melazo في جنوب غرب"ياحا" أين رمز له بالثور، بالإضافة إلى تناثر بعض النقوش التي تحمل معها رموز لألهة عربية مثل الوعل والثور ...مثل التي عثر عليها سنة 1958،ولكن هناك بعض آلهة عربية أخرى لم تذكر بكثير في الآثار الحبشية وذكرها ينحصر على بعض المناطق فقط مثل الإلهة "عثتر" برزت من بين الآثار في "ياحا" وحاولتي، كذا اله "هويس" الذي ذكر بعد" المقه "في حاولتي – ميلازو [32]

إلى جانب الآلهة العربية هناك مجموعة من الرموز والرسوم المقدسة التي لها علاقة بالديانة العربية الجنوبية، كقرص الشمس الذي يرد دائما مع صورة الهلال، وكل هذه الرموز كانت شعار المملكة الأكسومية في بداية عهدها، كما كانت حاضرة دائما على مسكوكات في القرن الثالث الميلادي 33قبل أن يتغير الوضع وتدخل الديانة المسيحية إلى أكسوم في حدود 330 ميلادي التي تحدث تغيرات كبيرة في الحبشة، وجعل من الحضارة العربية التي انتشرت في المنطقة ما هي إلا مرحلة من المراحل التاريخية العابرة). وبناءا على المخلفات الأثرية التي سبق أن ذكرنا جزءا منها، نلاحظ بأن ديانة الأحباش حتى القرن الرابع الميلادي كانت امتداد لديانة عرب جنوب شبه الجزيرة العربية الوثنية، وكانت المنطقة مقاطعة سبئية تحمل كل مظاهرها الحضارية التي تمس كل جوانب الحياة سواء الاجتماعية أو الدينية أو الاقتصادية أو السياسية، وكأن البحر الأحمر ليس له وجود . ويمكننا أن نعتبر المنطقتين إقليم واحد لا فاصل بينهما.

وما لا نستطيع تأكيده في حديثنا عن الديانة العربية في الحبشة هو: هل الديانة العربية كانت عامة على كل الشعب ؟أم أنها كانت تقتصر على طبقة

معينة في الدولة ؟لأن الآثار تمدنا بمجموعة من النقوش والهياكل والرموز تعود لديانات أخرى بالمنطقة وتشكل في مجموعها آلهة مصرية وأخرى ذات أصول إغريقية بالإضافة إلى الآلهة المحلية،ولكن هذا لا يجعلنا نستغرب الأمر لأننا تحدثنا في العنصر الخاص بالتركيبة الاجتماعية للحبشة، وأشرنا إلى وجود عدة أجناس خاصة (الأهالي– المصرية– العربية–الإغريقية) وبالتالي هذا الوضع جعل من الحبشة القديمة فسيفساء من اللغات والديانات فهذا بطبيعة الحال ما هو إلا دليل للانصهار الثقافي الذي كان نتيجة لتفاعل الحضارة اليمنية القديمة مع الحضارة الإفريقية، لذا أضيفت إلى قائمة الأرباب العربية بالحبشة أرباب إفريقية، والديانة الأكسومية من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلاديين كانت ديانة فلكية كبقية ديانات الشعوب السامية، ومهما اختلفت أسماء الآلهة إلا أنها يمكن إدراجها ضمن أحد أجزاء الثالوث (الزهرة –الشمس–القمر)وما وجود الإله "زيوس "Zeus الإغريقي، وأمون المصري إلا تعبير بلغتهم الأصلية عن الإله الرئيسي لأكسوم المعروف باسم "مهرم" hrem[34].

ومن خلال ما سبق ذكره يظهر جليا أن الديانة العربية الجنوبية كان لها الأثر الكبير على الحبشة وخاصة في المرحلة السبئية من القرن السادس ق م إلى القرن الأول الميلادي وكل المظاهر الحضارية الخاصة بالعربية الجنوبية، كان لها حضور قوي في الآثار الحبشية التي تعود إلى هذه المرحلة، أما بالنسبة للمرحلة الأكسومية التي تمتد من القرن الأول إلى الرابع الميلاديين فهي أيضا تعكس لنا المظاهر الحضارية العربية الجنوبية، ولكن في قالب إفريقي، بمعنى أن فترة حكم المملكة الأكسومية كانت بمثابة مرحلة تاريخية فصلت بين التاريخ السبئي والتاريخ الإفريقي وكانت بذلك الحضارة الأكسومية مزيج بين المرحلتين

4-الأنشطة الاقتصادية في اكسوم

ابتدءا من القرنين الثاني والثالث الميلاديين تبدأ بعض المصادر التاريخية بالحديث عن قوة اقتصادية وسياسية، ظهرت بشمال شرق القارة

الإفريقية، والتي كان لها تأثير على العربية الجنوبية والأراضي المجاورة لها، هذه القوة هي التي أشار إليها المؤلف المجهول صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري (أكسوم عاصمة الاكسوميين)، خاصة عند حديثه عن أحد ملوكها وهو "زوسكاليس" من الأرجح أنه حكم في القرن الثاني الميلادي .[35] إن ظهور أكسوم كقوة اقتصادية وسياسية، جعل العديد من الباحثين يتساءلون عن مصدر هذه القوة خاصة إذا ما لاحظنا إلى غياب اسم أكسوم بين أثار موضع" ياحا" أقدم موقع اثري بالحبشة. إذن كيف يعقل لظهور قوة اقتصادية عالمية في القارة الإفريقية ويكون لها تأثير على قوى أخرى مماثلة لها؟وماهي أبرز الأسس الاقتصادية التي كانت تعتمد عليها ؟.

أ-الزراعة

نسبة كبيرة من المجتمع الحبشي تعتمد بالدرجة الأولى على الأنشطة الفلاحية (الزراعة وتربية المواشي) وبقيت هذه القاعدة مصدر رزق سكان هضبة تجراي إلى غاية اليوم والزراعة تمثل إرث حضاري ذا أصول عربية جنوبية يضرب بجذوره إلى الألف الأول ق م، فهو ذلك النشاط الذي عرف به المجتمع اليمني القديم بتقنياته المتطورة التي تتماشى مع طبيعة المنطقة التضاريسية فلم تكن الحبشة يوما ما عقبة أمام المهاجرين اليمنيين، بل كانت مجرد إقليم جغرافي تابع لأراضيهم الواقعة في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية، لهذا لم يكن استيطانهم للمنطقة يتطلب جهود، بل كانت الظواهر التضاريسية والمناخية الحبشية معروفة لديهم وكان من السهل نقل كل تقنياتهم الزراعية معهم دون أية صعوبة. كتخطيطهم للأراضي وجعلها شرفات ترتفع على جوانب الجبال (مدرجات زراعية) هذه التقنية التي انتشرت خاصة في الهضبة الشرقية بالحبشة منطقة (لقلع – غوزاي L'Akklae -Ghzai) التي بقيت تحتفظ ببعض الآثار المتعلقة بهذا الميدان.[36] كما تعاملوا مع الظواهر المناخية بنفس الطريقة التي كان يعتمد عليها باليمن، ومنها تشييد للسدود بشتى أنواعها (سدود تحويلية – وسدود خزن وتصريف)، وبناء صهاريج وحفر القنوات لتصريف المياه بنظام[37]،

وذلك من اجل الاستفادة من مياه الأمطار الموسمية التي ربما تكون في بعض الأحيان عامل مدمر للمنشآت السكنية وإتلاف المزارع الموسمي .

كما لعب عرب الجنوب (اليمنيون) الدور الكبير في إدخالهم للمحراث الذي تجره الثيران وكان مصدر ثروة زراعية عرفتها المنطقة خاصة بعد ما حلت هذه الأداة محل الفأس الذي كان يعتمد عليه إلى حد اليوم في بعض المناطق الإفريقية الأخرى، وربما كان عامل في توسيع الرقعة ورغبة الملوك في الحصول على اكبر قدر ممكن من الأراضي الزراعية التي توسعت في القرن الرابع الميلادي، من اكسوم جنوبا حتى هضبة تجراي شمالا وبعض أراضي القبائل التي كانت تستقر في الحدود الغربية من أكسوم إلى السواحل العربية .وعلى ضوء دراسة النقوش والبقايا الأثرية تبين أن الحبوب بشتى أنواعها كانت تشكل نسبة عالية من المحاصيل الزراعية الأكسومية، كما أن معرفتهم لتربية الحيوانات جعلتهم يستنفدون بمختلف منتجات كاللحوم والدهون والعسل[38] و ما لا نستطيع أن نؤكده هو، هل كانت هذه الخيرات تدخل ضمن مبادلاتها التجارية أم أنها تقتصر على تلبية حاجيات المجتمع الأكسومي فقط ؟لأن هناك بعض الأدلة الأثرية التي تشير إلى بعض الواردات (الزيت– الحبوب) التي تصل من بعض مناطق البحر الأبيض المتوسط (سوريا ومصر) ولهذا لا يمكننا أن نستعجل في حديثنا عن الصادرات الأكسومية لان الآثار تبدو بعيدة في إشارتها لهذا المجال .

ب- التجار ة:

إن حاولنا أن نعطي إجابة عن أهم الأسس التي اعتمدت عليها أكسوم في بناء اقتصادها، الذي جعل منها قوة لها تأثير بالغ على الأوضاع السياسية والاقتصادية لتلك الفترة، فإن التجارة تشكل عماد هذا الاقتصاد فهو الميدان الذي كان يميز أسلافهم العرب والذي انبثقت منه أكسوم إلى الوجود وجعلته بدورها مركز قوتها، وتعتبر اكسوم أول كيان سياسي إفريقي استطاع أن يخصص عملة خاصة به، وكانت هذه العملة من معادن مختلفة سواء من البرونز– النحاس–الفضة –الذهب وكل معدن يميز مرحلة تاريخية،

وتمثل العملة الذهبية رمز الرفاهية والاستقلال عن أية تبعية أجنبية، ويعتبر "أنديبيس Endybis" أول ملك أكسومي قام بمبادلات تجارية عن طريق النقود، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي[39] كما لعبت اكسوم دور الوساطة التجارية بين روما والشرق الأقصى (سيلان– الهند– الصين)من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلادي، خاصة بعدما أخذت المكانة التجارية التي كان يتمتع بها أهل العربية الجنوبية [40] أما بالنسبة لموضوع المبادلات التجارية الأكسومية مع العالم الخارجي، فإننا نلاحظ بعض الغموض الذي يكمن في طبيعة صادراتها ووارداتها، لأن الأبحاث الأثرية لم تمدنا بالقدر الكافي من المعلومات المتعلقة بالموضوع، لذا يتعذر علينا الحديث بكل يسر عن المنتجات المحلية والأجنبية بأكسوم باستثناء ما تركه لنا بعض الكتاب اللاتينيين والبيزنطيين مما يجعلنا نكون فكرة وجيزة عن طبيعة المبادلات التجارية الأكسومية مع العالم الخارجي .

تحدث سترابون عن السفن الإثيوبية التي تغادر البحر الأحمر محملة ببعض السلع مثل (حجر الصوان، العاج، قرن وحيد القرن، أنياب الكركدن، جلد فرس النهر، القردة والعبيد) أما صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري فقد أشار إلى السلع التي تخرج من ميناء عدولي والمتمثلة في السلاحف، الصوان، العاج، قرن وحيد القرن [41] بالإضافة إلى بعض الكتاب الذين تحدثوا عن بعض السلع التي تدخل ضمن الصادرات الأكسومية مثل تبر الذهب، العطور،ومن خلال هذه القائمة من السلع الأكسومية التي تصدر إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط، نستنتج بأنها كلها عبارة عن سلع تم الحصول عليها عن طريق الصيد، ولم تصادفنا أية منتجات فلاحية أو حيوانية كالحليب والعسل، ولا توجد مصنوعات يدوية، فهل يعقل لدولة قوية سياسيا واقتصاديا كأكسوم ألا تعطي أهمية للمنتجات الفلاحية والحيوانية ؟خاصة إذا ما لاحظنا الزراعة التي كانت متطورة ومربحة، لقد تحدثت عن الحبوب الأكسومية بمختلف أنواعها، ومن جانب آخر نجد صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري يتحدث عن السلع الغذائية التي

كانت تستوردها أكسوم خاصة من مناطق البحر الأبيض المتوسط مثل الخمور السورية والإيطالية وزيت الزيتون، ومن مصر كانت تصل الحبوب والخمور، ومشروب العنب الطازج، أما بالنسبة للسلع المستوردة من الشرق الأقصى (الهند) هناك القمح، الأرز، القصب السكري[42].

من خلال هذه الشهادة نستنتج أن التجارة الأكسومية تعتمد بالدرجة الأولى على تصدير السلع التي تتوفر لديها عن طريق الصيد والتي كان لها إقبال كبير من طرف القوى الحضارية الأخرى، مقابل المنتجات الغذائية، ربما الإنتاج المحلي كان لا يغطي الحاجيات السكانية أم أنها تقوم بتصديره لمناطق أخرى لم تذكرها المصادر الأدبية التي كانت تتميز بالغموض والقلة فيما يخص حديثها عن اكسوم .ولم تكن المنتجات الغذائية وحدها التي تمثل قائمة السلع المستوردة بل هناك الأغراض التي لم تتوفر في الشرق الإفريقي، لذا اضطر التاجر الأكسومي أن يجلبها من أقاليم أخرى ونذكر على سبيل المثال مصر التي جعلها صاحب كتاب الطواف مصدر بعض الكؤوس الزجاجية والمعاطف والأغطية الصوفية.كل هذه الأغراض كانت من طلب الملك الأكسومي "زوسكاليس" الذي عاصره المؤلف المجهول[43] ولقد أكدت الأبحاث الأثرية التي أجريت بثلاثة مناطق بالحبشة: أكسوم وعادولي ومطرة صحة ما ذكره المؤلف المجهول، أين عثر المنقبون على مجموعة من الأواني ذات أصول أجنبية دخلت إلى المنطقة عن طريق المبادلات التجارية وأغلبها كان من الإمبراطورية الرومانية وخاصة من مصر، وتتمثل البقايا في (الأمفورات التي بقيت تحتفظ ببعض بقايا الخمر والزيت وكذا بقايا زجاجية، حلي من معدن الذهب، بعض القطع النقدية الرومانية من مطرة ومصابيح برونزية، ميزان من البرونز)[44]. بالإضافة إلى العديد من البقايا الأثرية ذات أصل هندي ومن العربية الجنوبية ومروى .

من خلال ما سبق ذكره عن التجارة الأكسومية تبين أن أكسوم عرفت علاقات تجارية واسعة تبدأ من المناطق الداخلية لإفريقيا الشرقية إلى العربية الجنوبية والهند وسيلان في أقصى الشرق وإلى مناطق البحر الأبيض

المتوسط بما فيها روما – سوريا– مصر.....ولم تقتصر مهمتها على الاستيراد والتصدير لحاجياتها الخاصة فقط، وإنما لعبت دور الوساطة التجارية بين دول البحر الأبيض المتوسط ومناطق من الشرق الأقصى. واستطاعت أكسوم في مدة زمنية قصيرة أن تكون إمبراطورية واسعة الأطراف والتي تبدأ من بلاد النوبة والأراضي الإفريقية بجوار إثيوبيا إلى العربية الجنوبية حيث توصل ملوك أكسوم إلى السيطرة على أكبر الطرق التجارية التي تجمع بين مصر وسوريا بالمحيط الهندي والشرق الإفريقي، وكان مضيق باب المندب تحت السيطرة الأكسومية ولا ننسى أنه كان يمثل البوابة التي توصل السلع التجارية من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي ثم إلى الهند ومن هنا إلى جزيرة سيلان ثم المناطق الجنوبية الشرقية من أسيا، ولم تكن المناطق الواقعة إلى أقصى غرب القارة الأسيوية هي الوحيدة التي دخلت ضمن سيطرتها بل حتى الطريق البحري الذي يصل بين القارة الأسيوية والقارة الإفريقية كان بدوره يمثل الجزء الأخر من المجال الجغرافي الأكسومي45 وهنا نقصد الطريق البحري الذي يسير بمحاذاة خليج عدن مرورا بالساحل الصومالي (حاليا) ،حتى إفريقيا الغربية وهو اتجاه سلكه الكثير من التجار اليمنيين منذ القدم، وفي القرن الأول الميلادي كان ميدان الرومان والهنود .

ويكفينا أن نتخيل المجال الجغرافي الواسع الذي كانت تسيطر عليه الإمبراطورية الأكسومية، تلك المملكة الفتية التي نشأت من أصول عربية جنوبية وتربت في أحضان حضارة مركبة من إرث أجنبي، وإنتاج إفريقي محلي، ظهرت من خلاله أول قوة في تاريخ البشرية بإفريقيا واستطاعت أن تحتفظ لنفسها بأثمن مصادر السلع التي كانت أكثر طلبا من طرف القوى الحضارية الكبرى منذ القدم، وفي فترة زمنية قصيرة اتخذت المكانة التي كان يتمتع بها المجتمع اليمني، وجعلت من هذا الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية مقاطعة دخلت ضمن الأراضي التي تشكل إمبراطوريتها الواسعة .

5- العمارة الأكسومية

أ- العمارة المدنية

عرفت مستوطنة أكسوم نظام المدينة منذ تاريخها القديم، وهي المعلومة التي انبثقت من خلال التنقيبات الأثرية التي أجريت في كل من مدينة أكسوم، عدولي ومطرة، هذه المدن الثلاثة التي تدخل ضمن المرحلة الأكسومية، اعتمدت في هندستها المعمارية على تشييد مدن تجمع بكل ما يحتاجه الأهالي من أسواق وصهاريج لحفظ المياه وكذلك معابد وحدائق ...الخ ومن خلال شبكة الطرق الضيقة التي تخترق المباني، يبدو أن مدينة "مطرة" عرفت كثافة سكانية عالية تعمل في العديد من الميادين، وكانت القطع النقدية والبقايا الزجاجية والأمفورات حاضرة بشكل كبير[46].ونستطيع أن نميز في المملكة الأكسومية بين نوعين من المدن، بحيث هناك مدن داخلية ومدن خارجية ونقصد بالمدن الداخلية هي تلك المراكز التجارية والمجمعات السكنية التي تعمل دور الوساطة التجارية بين سلع الإفريقية والسلع الأجنبية على المناطق الساحلية مثل مدينة عدولي، ولقد تحدث صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري عن المدينة "كولوي Koloé" التي كانت تمثل إحدى المدن الداخلية المتخصصة في تجارة العاج، وبطبيعة الحال تكون هذه المدينة مجمع تجاري يلتقي فيه معظم التجار الذين يقصدونها لغرض الحصول على العاج [47]، عاش ميناء عدولي أزهى مراحله التاريخية في القرن الخامس الميلادي .

يعود الفضل للبعثة الألمانية سنة 1906 في الاحتفاظ ببعض الصور، والاجتهاد في قيامهم بمجموعة من الرسومات على بعض بقايا قصور بمدينة أكسوم، وكان النموذج الذي أطلق عليه اسم "عندة ميكائيل Michael-Enda"رمز للهندسة المعمارية الأكسومية ومنه استخرجت بعض المميزات المعمارية التي كانت معروفة بالمنطقة، وكذا مختلف المواد التي تدخل في بنائها، وطبيعة الهيكل العام للعمارة[48]. ويدخل في الهندسة المعمارية الأكسومية بعض المواد التي تتكرر في كل المواقع الأثرية، حيث نجد الأحجار

الضخمة التي تستعمل في القاعدة والجدران، وكذلك أحجار ذات أحجام متوسطة تؤدي دور الاسمنت في وضعها ما بين الفراغات التي قد تشكل أثناء البناء، أما بالنسبة للخشب الذي يلعب دور الركائز التي كانت توضع فوق السطوح وتدعيم الجدران والأبواب والنوافذ التي كانت حاضرة وبشكل كبير في العمارة الأكسومية، وكانت هذه المواد تدخل في العمارة المدنية والدينية [49]

ترتفع المباني على سطح الأرض على قاعدة من درج مربعة الشكل أو مستطيلة، كما أن جدرانها تتناوب فيها زوايا داخلية وأخرى بارزة وغالبا لا تتعدى بضعة 5سم، وهي تشبه الدرج في شكلها النهائي، ليست لدينا معلومات عن سبب الاعتماد على هذا النمط من الجدران ولكن ربما كانت تخفف الثقل على المبنى . ونظرا لدخول الأعمدة الخشبية في البناء الحبشي عامة والأكسومي خاصة، جعل العلماء يطلقون عليه تسمية (رأس القرد) وهي تسمية سببتها الأطراف البارزة لألواح الخشب التي كانت تدعم الجدران والسطوح وكذا الأبواب والنوافذ ونجد هذا النمط من البناء خاصة في المسلات الطويلة التي يعتبرها الكثير عبارة عن نماذج للعمارة الأكسومية التي لم تستطع البقايا الأثرية أن تحتفظ إلا بقواعدها مع بقايا من الأرضية[50] أما بالنسبة للهيكل الخارجي للعمارة فهي تتكون من عدة أبواب ونوافذ ضيقة، وتصادفنا ثلاثة أو أربعة أدراج أمام الباب، وإلى جانبيه الأيمن والأيسر وضعت أحجار مستطيلة الشكل تؤدي دور المقاعد، وغالبا ما تكون في قاعدة المبنى أحواض صغيرة وصهاريج لحفظ المياه ذات أشكال متنوعة سواء مستطيلة أو مربعة أو دائرية، وفي خارج المبنى نجد فرن من الطين الذي يستعمل لغرض الطبخ أو لأغراض صناعية وتختلف أحجامهم من عمارة لأخرى[51].

يبدو من خلال الكم الهائل من الخرائب التي تجتمع في المواقع الأثرية أن العمارة تتكون من عدة طوابق ومن جانب آخر لا يعقل أن يستطيع الإنسان العيش في الطابق الأرضي الذي يتميز باكتضاضه من حيث الأعمدة التي لا يمكن الاستغناء عنها كونها ركائز لها الدور الكبير في حفظ الوزن بين مختلف

أجزاء العمارة وبالتالي الطابق العلوي هو المخصص للعيش[52].أما بالنسبة للأرضية فربما مخصصة لأغراض أخرى كإسطبل للحيوانات، كما كان يستعمل في اليمن القديم وحتى يومنا هذا وفي الكثير من الأحيان نجد البئر بالطابق السفلي أيضا.

مما سبق نستنتج بأن الهندسة المعمارية الأكسومية هي نفس نظيرتها في العربية الجنوبية والتي كانت تعتمد بشكل خاص على الأعمدة الخشبية، وكذلك الأحجار الضخمة التي ترتفع مبانيها لتصل في بعض الأحيان إلى أكثر من ستة طوابق وساعد على تطوير هذا النوع من البناء وفرة كل المواد التي تستعمل، نفس الفرصة استفاد منها المهاجرون اليمنيون الذين قاموا بنقل هذا الإرث الحضاري إلى ساحل البحر الأحمر المقابل واستمتعوا بكل ما وفرته لهم طبيعة المنطقة التي لم تبدو لهم غريبة، بل تعودوا على نظيرتها باليمن، وهذا ما جعل الحبشة القديمة صورة طبق الأصل للعربية الجنوبية.

2- العمارة الدينية:

يعتبر "معبد ياحا الوثني" من أقدم الآثار الحبشية التي تعود إلى المرحلة السبأية. شيد هذا المعبد على هضبة مرتفعة بالجهة الشمالية الشرقية لأكسوم، ولقد درس هذا المعلم الأثري لأول مرة من طرف البعثة الألمانية وعلى رأسها الأثري "ليتمان"1906 ولحسن الحظ احتفظت هذه البعثة بالصور والرسومات التي أنجزت خلال أبحاثهم بالمنطقة [53] لأن المعبد أتلفت أجزاء منه سواء بسب الظواهر الطبيعية أو لعملية النهب التي قام بها أهالي المنطقة من أجل بناء كنيسة مسيحية سنة.1940[54] وبالتالي أصبحت الهضبة تجمع بين عمارتين دينيتين لمرحلتين مختلفتين أولهما المعبد الوثني في الجانب الأيمن وثانيهما الكنيسة المسيحية في الجانب الأيسر ويحصرهما جدار مزدوج حديث العهد وهذا الأخير يجعل المنطقة ذات شكل بيضوي.

- معبد ياحا

وعلى ضوء ما جاءت به البعثة الفرنسية 1998، بني معبد ياحا على قاعدة مستطيلة الشكل يبلغ طوله 18،60 م و15م عرضا وعلى ارتفاع 13م،

وترتفع أرضية المبنى على سطح الأرض بواسطة قاعدة تتكون من ستة أدراج، أما بالنسبة للجدران فإنها مبنية بأحجار جيرية ضخمة مستطيلة الشكل وضعت فوق بعضها البعض بطريقة دقيقة ومتقنة، وتبدو الجدران سميكة في الأسفل وتنقص كلما نظرنا نحو الأعلى وهذا ما جعل علماء الآثار يفكرون في وجود طابق آخر ربما يكون يحيط بالقاعة بأكملها أم أنه يبدو على شكل شرفة تحيط بجدران المعبد.. يشكل الباب الرئيسي ثلثي الجهة الغربية للمعبد وتقابلنا سلسلة من النقوش التي تحمل رموز لآلهة عربية جنوبية وكتابات سبأية، أما بالنسبة للتنظيم الداخلي للمعبد فهو يتلخص في المحاولات التي قامت بها البعثة الفرنسية أثناء محاولة أعضائها رسم مخطط، وكذا محاولة فهم دور كل قطعة أثرية وجدت بجانب الموقع الأثري، واستطاعوا الوصول إلى بناء فكرة على التنظيم الداخلي، وعلى ما يبدو أن المعبد ينقسم إلى مصليات ذات أحجام تؤدي وظيفة غرف الانتظار التي توصل بالمصلى عن طريق درج [55]

وحسب الدراسات التي قام بها "فرانسيس أنفراي Anfray "في موقع ياحا 1972، فإن بين معبد ياحا والمعابد العربية الجنوبية (صراوح – عطار – معبد معين) وجه شبه كبير سواء فيم يخص التصميم الخارجي أو التنظيم الداخلي والنقوش، كما أن بين معبد "ياحا" و"حاولتي" و"ميلازو" نقاط تشابه ولكن ما يختلف بينهما هو عدم وجود أية أثر عن المرحلة الاكسومية بياحا عكس المناطق الأخرى التي كانت تجمع بين بقايا الإرث السبئي والأكسومي [56] ربما هناك من يتساءل عن سبب حديثنا عن معبد ياحا مادام هو ينتمي إلى المرحلة السبئية وجوابنا هو وجود مواقع أثرية تعود إلى المرحلة الأكسومية تعكس لنا مظاهر حضارية لها علاقة بالمرحلة السبئية القديمة .

ومن هنا نستنتج أن مرحلة اكسوم عبارة عن حد فاصل بين عهدين، بل هي مرحلة انتقالية من تأثير سبئي مباشر إلى حضارة مركبة تجمع بين نمطين من الثقافة (العربية والإفريقية)، وتعتبر منطقة حاولتي أحسن مثال يجعلنا

نفهم طبيعة المعابد الأكسومية واستطاعت أن توفر لنا كل مالم تمده لنا الآثار في مدينة اكسوم .

▪ **معبد حولتي**

تقع "حاولتي"11كلم جنوب شرق أكسوم وتعني هذه التسمية بالإثيوبية "مسلات "كشفت البعثة الأثرية الفرنسية سنة 1959 عن بقايا معبدين وثنيين، حاول الأثري أنفراي القيام ببعض الرسومات لإعادة هيكلة هاتين العمارتين لأنها الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تعكس لنا الشكل التقريبي للمعلمين علما أن الآثار كانت قليلة وغير واضحة ويبدو من خلال المادة الأثرية أن المعبدين ذات تأثير عربي جنوبي، وهناك عدة نقاط تشابه تجمع بينهم وبين معبد "ياحا" الذي أرخ بالقرن الخامس أو الربع ق. م، والإشكال المطروح هو: هل المعبدان يعودان إلى نفس المرحلة التاريخية لياحا؟ أم أنهما حديثي العهد؟ وكان الاقتراح الثاني هو الأقرب إلى الحقيقة والدليل على ذلك هو وجود أدوات أخرى تعود إلى المرحلة الأكسومية الأولى أي (من القرن الأول الميلادي إلى القرن الرابع الميلادي) وتشكل السلع المستوردة من الهند والفخار الأكسومي نسبة كبيرة من بين أثار المنطقة. واكبر دليل هو تلك المسلات الضخمة التي كانت تحيط بالمعبدين والتي أرخت بحوالي القرنين الثالث والرابع الميلاديين وكما هو معروف لدى علماء الآثار أن هذه المعالم الأثرية كانت نتاج الحضارة الأكسومية خاصة في فترة حكم الملك" عزانا "القرن الرابع الميلادي[57]

شيد المعبدين على قمة هضبة مرتفعة "بحاولتي" –ميلازو بواسطة أحجار جيرية ضخمة متوفرة في المنطقة، على قاعدة مستطيلة الشكل ويفصل بينهما رواق ضيق، ويختلف سمك جدران المعبدين حيث نجده في المعبد الشمالي حوالي 1،20م أما المعبد الجنوبي حوالي 80سم أما طول المعبد الشمالي يبلغ 11م والجنوبي 10،50م58. لقد دفنت في الرواق الذي يفصل بين المعبدين العديد من القطع الأثرية أبرزها تمثال امرأة جالسة على كرسي من الحجر الجيري يكسوها فستان طويل متموج وهي واضعة أيديها على

ركبتيها،ويبلغ في ارتفاعه 80سم، وهذا التمثال مثل الموضوعات العربية الجنوبية وكما توجد إلى جانبيه في الموقع العديد من التماثيل الأخرى.

أما بالنسبة للعرش فهو كذلك من الحجر الجيري الأبيض ذا ارتفاع 140سم كانت قاعدته عبارة عن قدمي ثور كما يعلو فوق العرش قبة على شكل قوس تحيط به نقوش لوعول في كل الجهات، وعلى جانبيه الأيمن والأيسر يحمل نقوش لرجل بلا لحية بيده عصا ومن ورائه رجل آخر يبدو أكبر من الأول سنا ذا لحية وبيده مروحة58.وفي الكثير من الأحيان استعملنا عبارة "تأثير عربي جنوبي" بدلا من التأثير "السبئي". لماذ؟ لأنه عند دراسة الأثريين لمعبد ياحا ومعابد أخرى بالعربية الجنوبية اتضح لنا أن تلك التأثيرات ليست متعلقة بالدولة السبئية فقط وإنما هناك بعض التأثيرات التي تعكس لنا جوانب من الإرث المعيني، ونجد معبد "معين" ومعبد "صراوح" تربطهم علاقات مع معبد "ياحا"، ولهذا اخترنا أن نعتمد في حديثنا عن التأثيرات على تلك التسمية "عربية جنوبية"، ولا ننسى أنه في الكثير من الأحيان يصعب علينا التمييز مابين المخلفات الأثرية الخاصة بالدويلات العربية الجنوبية لأنها كلها ظهرت متعاقبة أو متعاصرة .

-الهوامش

1- أسم إثيوبيا هو ذا أصول إغريقية Aithiops، تظهر هذه التسمية مرتين في الالياذة وثلاث مرت في الأوديسة للشاعر هومير Homère في حدود القرن التاسع ق م، أما بالنسبة لهرودوت Hérodote استعمل الاسم خصيصا لوصف جميع الأراضي جنوب مصر ومعنى هذه التسمية "الوجوه المحروقة ".عن Auguste Widal ,Etude Littéraire et Morale sur Homère ,Paris ,Hachette ,1863 .

2-حسب أحد الباحثين اليمنيين صيغة اسم "أكسوم "تذكر بالعربية الجنوبية "أمغول" وجذر الاسم (ك س م)يذكر باسم ناحية (كسمة) في ريمة الحالية .

3-لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1،بيروت: دار النهضة العربية، 1979،ص91

4- Vincent (W): The periplus of the erythraean sea, London, 1805.4-13, 5-18.

5-(f).Anfray: « La civilisation d'Axoum du 1er au 7eme siècle , Afrique ancienne »Par: Paris,O.N.U,,1989 P365.

6-استعملت هذه العبارة للتعبير عن عمق العلاقة العربية الأفريقية من جهة ودور العرب في التوجيه الحضاري للمجتمع الحبشي خاصة والشرق الإفريقي عامة

7-La bible, Livre des Rois, 10,1-29

8- بلقاسم رحماني، حضارة العرب القديمة (الحضارة اليمنية نموذجا)، ج 2، 2009،ص123.

9 – محمد خميس الزوكة , جغرافية حوض البحر الأحمر,الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003،ص39.

10-Sabatino Moscati.Histoire et civilisation des peuples sémitiques, Paris: Payot, 1955 .P 215

11-(P) Nautin, (A) Caquot, (F) Anfray: « une nouvelle inscription grecque d'Ezana, rois d'Axoum »IN: J.S, v4, n4, 1970, PP266.

12- (R) Schneider: « l'inscription chrétienne d'Ezana en écriture sud arabe, annale d'Ethiopie », v10, n1, 1976,P109.

13-(f).Anfray: « la civilisation d'Axoum du 1er au 7eme siècle, Afrique ancienne »Op Cit, P387.

14-Ibid., P387.

15- le périple de la mer Erythrée, op cit ,4-13,5-18.

16-(F) Anfray: « fouilles de Yeha » In: A É, v5, 1972, P54

17-Afrique Ancienne, Op Cit ,365-366

18-(DAE)Deutsch Axsum Expédition بعثة أكسوم الألمانية التي ترأسها الأثري ليتمان Littmann

19- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج2، ص 126

20-(H) De Contenson, « Les Principales Etapes De L'Ethiopie Antique », op cit, P P 22-23

21- Afrique Ancienne, op, cit, P387.

22-محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم ،لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985،، ص 166.

23- نفسه،ص 169.

24-نفسه، ص 59.

25-(M-L) Inizan « le périple de l'obsidienne a travers la mer rouge », In: Journal des Africanistes, fascicule 2, tome 72, 2002, pp 11-19.

26- Afrique Ancienne op, Cit, P387.

27-(F) Anfray, (A) Caquot,(P)Nautin: "Une nouvelle inscription grecque d'Ezana,roi d'Axoum,J.A,Paris,1970 ,260.

28-(C) Robain, (G) Gorea «Les vestiges antiques de grotte de Hôq (Suqutra, Yémen), In: N2, 2OO2.CRAI, PP427-433

29- فوزي البعلبكي، الكتابة العربية السامية، بيروت، 1981،ص ص 185-187.

30-Roger Schneider, Abraham Johanne drewes, « documents épigraphiques -1 »In: AE, v7, n7, 1967, pp98- 106.

31-(JF) Breton, « L'architecture antique des deux rives de la mer rouge » In: J A, T72, 2002, PP 229-239.

32-(H) de Contenson, « les principales étapes de l'Éthiopie antique », op Cit, PP14-16.

33-(F) Anfray, « Matara », In: A E V7, 1967, P51

34- Afrique Ancienne, op Cit, P430.

35-The periplus of the Erythraean Sea, op cit, 4-13, 5-18.

36-(F) Anfray, « Fouilles de Yeha »In: A E, V9, N9, 1972, P54.

37- محمد احمد خلف "الجذور التاريخية للعلاقات بين العرب والأفارقة "مركز دراسات الوحدة العربية، العرب والدائرة الإفريقية، لبنان 2005،ص22.

38-Afrique ancienne, op cit, P40
39-(E) Godet « Bilan de recherches récentes en numismatique Axoumite »in: RN, T26, 1986, PP174-209.
40-(C) Morrison, (E) Godet, (J.N) Barrandon « Le monnayage d'or Axoumite, une altération particulière »In: RN, V6, N32, 1990, P187.
41- The periplus of the Erythraean Sea, op cit, 3, 7.
42-Ibid, 6, 7,17.
43- Ibid., 3-7, 6, 7,17.
44- Afrique ancienne, op cit, P418.
45- Ibid, P418.
46- Ibid, PP394-395.
47- The periplus of the Erythraean Sea, op cit, 4, 12.
48- Afrique ancienne op cit, P395.
49-(J-F) Breton, « L'architecture antique des deux rives de la mer rouge »In: J A, T72, 2002 pp235-237.
50-Moscati, Histoire et Civilisation, op Cit, P221
51-(H) de Contenson «Les fouilles a Ouichatae Golo, pré d'Axoum en1958 »In: AE, V4, 1961 ;(F) Anfray « Première campagne de fouilles a Matara (1959-1960) »In: A E, V5, 1963, PP87-166.
52- Afrique ancienne op Cit, P395.
53-(F) Anfray « Les fouilles de Yeha »In: A E, op cit, p47.
54-(Ch) Robin, (A) de Maigret « Le grand temple de Yeha (Tigré-Ethiopie), IN: CRAI, 142eme Année, N3, 1998, P740.
55-Ibid, PP740-750.
56-(F) Anfray « Les fouilles de Yeha » In: A E, v5, 1972, PP53-54.
57- (H) de Contenson « les fouilles de Haoulti en 1959, Rapport préliminaire »In: AE, V5, 1963, PP41-52.
58-Ibid., 41-42.
58-(H) de Contenson « Les monuments d'art sud – Arabe découverte sur le site de Haoulti (Ethiopie) en1959 »In: R S, T3, Fascicule1-2, 1962, PO64-74.